كلمة السيد المدير العام للآثار والمتاحف الدكتور عفيف البهنسي

في حفلة افتتاح الدورة العالمية

للدراسات الأوغاريتية

مليون عام على الأقل مرت على وجود الانسان في شمالي الساحل السوري ، لقد اكتشفت آثار هذا الانسان واضحة على ضفاف النهر الكبير الشمالي . ولسنا ندري كيف تطوّر هذا الوجود الانساني حتى بداية العصر الحجري الحديث Néolithique ، إلا أننا أصبحنا نعرف المزيد من المعلومات عن الفترة القائمة في الألف السابع ، وعن ظهور شعوب عربية سامية استطاعت أن تكوّن بداية الحضارة ، فتبني من الحجر بيوتاً منتظمةً ، وتستفيد من الطلاء الكلسي لإكساء الجدران ، وتصنع الفخار الذي تتطور صناعته بسرعةٍ .

وفي الألف الرابع تتوضح شيئاً فشيئاً الشعوبُ التي استوطنت الساحل السوري ولا سيما موقع رأس الشمرة ، وذلك من خلال الفخار الذي تماثل صناعته فخار (تل حلف) و (حسونة) وتأخذ المنطقة اسم (أوغاريت) وتصبح مركزاً لكنعانيي الشمال .

لقد ساعد اكتشاف (ايبلا) في تحديد هوية الشعوب الكنعانية وأصلها . فلقد تبين أن اللغة التي استعملت في (ايبلا) ما هي إلا الوسيط بين لغة (أكاد) و (كنعان) ، ويفسّر هذا انتقال الشعوب السامية من بلاد الرافدين إلى الساحل السوري ، كما يفسّر انتقال الحضارة معها ، مما يحدد شخصية متميزة لحضارة واسعة ومستمرة . وليست الحضارات اللاحقة الآرامية ثم العربية الإسلامية إلا استكمالاً لتلك الأصول القديمة التي ابتدأت مع بداية التاريخ .

لقد وصلت أوغاريت إلى قمة ازدهارها بعد منتصف الألف الثاني قبل الميلاد ، ويدل على ذلك ما اكتشف من مباني هامة كالقصر الملكي والأحياء الرسمية والحرفية ، وماعثر عليه من تماثيل هامة مثل : (تمثال بعل) والرأس العاجي وألوف الرقم Tablettes التي حملت أخبار الحضارة الأوغاريتية ، فعرّفتنا على سياسة أوغاريت وعلاقاتها بسكان وادي النيل ، والحثيين والحوريين . كما عرّفتنا على القوانين السائدة والآداب والعقائد التي تعتبر أصلاً للآداب التوراتية .

ولعلّ أهم حدث هو اكتشاف رقيم فيه ثلاثون رمزاً أبان لنا أن أُوغاريت كانت قد ابتكرت (أقدم أبجدية) في العالم . وطوّر سكان جبيل هذه الأبجدية فكانت أساساً للأبجدية الآرامية والنبطية والعربية ، ثم انتقلت إلى الإغريقية الأولى ثم اللاتينية . ولعل النقد الاغريقي الذي يحمل صورة (قدموس) وهو يعلم أهل (طيبة) الأبجدية أكبر دليل على انتقال الأبجدية الكنعانية إلى العالم . ومن بين الرقم المكتشفة في أوغاريت

رقيم يحوى أقدم (قطعة موسيقية) ترجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، أي قبل ألف عام من ظهور علم الموسيقى على يد (فيثاغورس) . ولقد أثبتت العالمة (كيلمر Kilmer) أن موسيقى رأس الشمرة التي تقوم على (السلم السباعي الدياتوني) هي أساس الموسيقى الغربية .

خلال خمسين عاماً متصلةً كانت مجموعة من العلماء الفرنسيين على رأسهم البروفسور (كلود شيفر) تعمل في موقع رأس الشمرة لمتابعة التنقيب والكشف عن حضارة هذه المنطقة ، وايضاح تاريخها بل تاريخ جزء هام من العالم القديم . ولقد قدّمت لنا الدراسات التي نشرت في سلسلة (أوغاريتيكا Ugaritica) معلومات هامة وأساسية لكتابة تاريخ سورية بل تاريخ الانسانية في الألف الثاني ق.م .

ولكن ، ليست (أوغاريت) هي الموقع الوحيد الذي كشف المراحل الناقصة من التاريخ القديم ، بل ان (تل حلف) و (مـاري) و (تل خـويرة) و (ايبـلا) و (عمـريت) و (تل سـوكاس) ثم (رأس البسيط) و (رأس ابن هاني) و (تدمر) و (بصرى) و (شهبا) و (الرصافة) و (قصور الحير) .. وعشرات غيرها، هي مراكز حضارية متتابعة اكتشفت خلال هذا القرن وزوّدتنا بروائع الآثار والأخبار .

ولكننا اليوم وبعد خمسين سنة من بداية الحفريات في (أوغاريت) لابدّ أن نحييَ هذه الجهود التي عملت بصبر واخلاص . ولابد أن نذكر بالتكريم جميع الأثريين الذين تعاقبوا في رأس الشمرة باحثين عن حضارتها وتاريخها ، ولابدأن نحيي زملاء لنا خدموا العمل الأثري في أوغاريت وغيرها ، وتركوا أثر جهودهم ورعايتهم لأعمال الكشف واضحةً فيما قدّموا من دراسات وتراجم نشرت في حوليتنا الأثرية.

ان هذه المناسبة التاريخية الهامة جديرة أن تصبح موعداً عالمياً يلتقي فيه العلماء من جميع أنحاء العالم ليشاركوا في إغناء معلوماتنا عن أوغاريت ضمن نطاق هذه الندوة العلمية العالمية التي منحها السيد رئيس الجمهورية الرئيس حافظ الأسد شرف رعايته ودعمه وأعطتها السيدة الوزيرة الدكتورة نجاح العطار اهتمامها وتقديرها . وإننا لنرفع إلى السيد الرئيس راعي هذا الحفل والندوة آيات الامتنان والاحترام ونتوجه إلى جميع السادة العلماء المشاركين وإلى جميع الزملاء وأعضاء اللجان والمسؤولين الثقافيين الفرنسيين بخالص الشكر والتقدير على مشاركتهم في إعداد هذه الندوة يحدونا أملٌ كبير أن يكون حصاد هذه الندوة من الأبحاث التي ستخرج في حولية كاملة ذخراً لتاريخ وحضارة الإنسانية جمعاء .